الكتاب : منهج التلمذة المعاصرة –القرضاوي نموذجا

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج التلمذة المعاصرة

القرضاوي نموذجاً

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، ورضي الله عن أصحابه أجمعين ، أما بعد:

فقد روى ابن سعد في " الطبقات2:342،347" أولَ ترجمة ابن مسعود. مع من كان يفتي في المدينة في العهد النبوي. عن مسروق قال: لقد جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذ. والإخاذ: الماء، وقد يكون صغيراً وقد يكون كبيراً. فالإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المئة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ.

وهذا الإخاذ الذي يروي العطاش ، وهذا الميراث النبوي الثر ما زال مستمراً في هذه الأمة المباركة المعطاء ، وإنَّ سماحة شيخنا وأستاذنا العلامة الفقيه، الرُّحلة، أبا المحاسن ، مُربِّي الأجيال، وأستاذ الدعاة ، فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، حفظه الله وأمتع به ، هو أحد ينابيع العلم والخير والهدى في عصرنا التي يصدق فيها قول الإمام مسروق عن سيدنا ابن مسعود: " لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم" لعموم نفعه ، والبركة في علمه وعمره ووقته، وانتشار فضله وأثره، وإقبال الناس على الاستفادة من علمه وهديه.

وأتحدث في هذه الورقات المعدودات في هذا اللقاء العلمي المبارك عن الجانب الذي طلب مني الحديث فيه، وهو منهج التلمذة المعاصرة ، فأقول مستعيناً بالله سبحانه ، سائلاً إياه السداد في القول والعمل:

بداية الصلة بكتب القرضاوي:

تعودُ صلتي بفضيلة الشيخ. أبي المحاسن. يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى ورعاه، منذ أن نشأت في محاضن الدعوة الإسلامية في بلدي حلب الشهباء.

ومن الكتب الأولى التي اقتنيتها وضَمَمْتُها إلى مكتبتي الصغيرة آنذاك : "العبادة في الإسلام" في طبعتها الأولى المصرية القديمة، و"الإيمان والحياة"، وأعجبت بهذين الكتابين، وقرأتهما بشَغَف..

(1/1)

ولما ابتدأت الخطابة في جامع السلام بمدينتي حلب سنة **1397**، وكنت في العشرين من عمري آنذاك، وجدت في هذين الكتابين مادة علمية ثرَّة تسعفني في التحضير للخطبة، بما يمتاز به أسلوب الشيخ من روعة بيان، ونصاعة فكر، وسلاسة عبارة، وحسن ترتيب، و كنت أحفظ الخطبة غيباً وألقيها ارتجالاً... فكانت كتب الشيخ بداية تكويني العلمي والدعوي، ثم ازددت صلة بكتب الشيخ، ومن بواكير ما قرأته له قراءة فهم ودراسة سلسلته الرائعة: " حتمية الحل الإسلامي" بجزئيه آنذاك... ثم ضممت إلى مكتبتي موسوعته الرائعة الفريدة: " فقه الزكاة" وقرأت الكتاب، واستفدت منه فوائد غالية، ووسَّع مداركي العلمية وآفاقي الفقهيَّة، وصرت أتابع كل ما يصدره الشيخ...

وكم كانت فرحتي كبيرة لما اقتنيت كتابه:" الصبر في القرآن" مع بداية محنة حلَّت في بعض البلاد، فأخذت من هذا الكتاب مادةً وفيرةً ثَرَّة في خطب الجمعة التي كنت أُلقيها، كانت بلسماً للجراح، وعوناً على الشدائد والمُلمَّات.

وكنت أتابع أخبار الشيخ، وأسأل عنه من كان يعرفه من إخواننا السوريين، وصحبه في دراسته في الأزهر، مثل أستاذنا الشيخ عبد الله علوان، وأستاذنا الشيخ طاهر خير الله رحمهما الله تعالى، وكان حديثهما حديث المعجب بالشيخ ومواهبه المتعددة، ونبوغه المبكِّر.

الحرص على لقاء العلماء والدعاة:

ثم قدَّر الله عزَّ وجل لي الإقامة في مكة المكرمة، وإتمام دراستي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة. منذ سنة**1980.1400**.

(2/1)

ومكةُ البلد الحرام مهوى الأفئدة، ومُجْتبى الثمرات.. ومن أعظم الثمرات : لقاء العلماء والدعاة، فكنت أسعى للقاء كل قادم من كبار العلماء إليها. ولاسيما عند عقد المجامع الفقهيَّة وغيرها من المناسبات والاجتماعات، فالتقيت بشيخنا مصطفى الزرقا، وسعدت بصحبته وخدمته، وكنت قد تشرَّفت بلقائه قبل ذلك في حلب وعمان...وسعدت كذلك بالتعرف على الشيخ أبي الحسن

الندوي...والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ محمد عبد الرشيد النعماني، والشيخ حسنين محمد مخلوف، والشيخ الشاذلي النيفر التونسي، فضلاً عن صلتي بالشيخ علي الطنطاوي، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، رحمهم الله تعالى. واتَّسعت دائرة علاقاتي العلمية.

ثناء الزرقا على القرضاوي:

وكنت شديد الحرص على لقاء الشيخ يوسف القَرَضاوي، وازداد حبي له، وتعلُّقي به، لاسيما عندما سمعت هذه الكلمة المدويَّة من شيخنا مصطفى الزرقا المعروف بالأوساط العلمية برجاحة عقله ودقَّة ميزانه. قال لي في مناسبة يتحدث فيها عن كبار فقهاء العصر :" إنني أذهب إلى كل ما يفتي به الشيخ القرضاوي وأقول به قبل أن أسمع الفتوى منه؛ لأنني أثق برجاحة عقله، وسَعَه أفقه، ومعرفته بالعصر، وورعه وتقواه..".

ويؤكِّد الشيخ على هذا المعنى، وهُوَ هُوَ... لا من باب الغلو في التقدير ونسبة العصمة، وإنما هو من باب تقرير الواقع فيما لمسه من كتب الشيخ وفتاواه ولقاءاته المتكررة معه في عدد من المجالس الفقهية.

ومثل هذا الثناء من الشيخ رحمه الله تعالى له مكانته وأثره، فليس كلُ مُثْنٍ أهل لأن يُعتدَّ بثنائه.فهو ثناءٌ من فقيه مُتبحِّر مُتحرِّر من العصبيَّة المذهبية، ولفي أكابر العلماء، وألحق الأحفاد بالأجداد...وقال لي أكثر من مرة: "أنا أعدُّ الشيخ القرضاوي من نعم الله الكبرى على المسلمين في هذا العصر".

سطوع نجم القرضاوي:

وبدأ نجم القرضاوي يزداد سطوعاً، وبدأت كتُبه تَتَتابع... وتملأ ساحات فكرية وفقهية ودعوية.. واتَّجه للكتابة في عدد من الميادين التي لا يتقن الكتابة فيها أحد مثله.. في الصحوة الإسلامية وترشيدها... وفي فقه الخلاف... والأولويات... لتحقيق وحدة فكرية للعاملين للإسلام،وكنت ولا أزال أتابع كل جديد مفيد مما يجود به قلم الشيخ المتألق، وفكرهُ الجوَّال المتنوِّر.

لقائي بالشيخ:

وكان الشيخ يدعى في كل شهر رمضان إلى ندوة" البركة" في جدة، فالتقيت معه اللقاء الأول، في رمضان سنة 1413، وسلَّمت عليه،ولم يكن حينئذٍ يعرفني، وأبديت له بالغ إعجابي بشخصه الكريم، ومتابعتي لكتاباته العلمية النافعة، وأنني أعد نفسي تلميذاً من تلاميذه الذين تربوا على كتبه... وشعرت منذ اللقاء الأول بصلة قلبية وثيقة به، وبعلاقة الابن مع أبيه، والأخ الصغير مع

أخيه الأكبر، ثم أرسلت إليه أول رسالة بتاريخ 1414/4/1أعُبّر له فيها عن حُبِّي وتقديري، وأذكر له شهادة شيوخي الكبار في الثناء عليه، وهي ثناء الأستاذ مصطفى الزرقا، والأستاذ علي الطنطاوي، والأستاذ عبد الفتاح أبو غدة رحمهم الله تعالى.

فبادر بإجابتي برسالة أحتفظ بها في جملة الذخائر النفيسة التي أحرص عليها.

وأسوق الآن رسالة الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ كما وصلتني، لتعبِّر عن علاقة الشيخ بتلاميذه ومُحبيه، وصلته بهم وتشجيعه لهم،وحُسن وده، وكريم خلقه.

أول رسالة خطيَّة من الشيخ القرضاوي:

قال حفظه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الحبيب، والابن النجيب الأستاذ مجد مكي حفظه الله، وأعزَّه بالإسلام، وأعزَّ به الإسلام، أحمد إليك الله تعالى الذي بنعمه تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خاتم رسله وصفوة خلقه سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه. وأحييك بتحية الإسلام تحية من عند الله مباركة طيبة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

(4/1)

(أما بعد) فقد تلقَّيت رسالتك ـ أخي الحبيب ـ بيد الشكر والتقدير، فهي تحمل ـ مع جمال خطها وأسلوبها ومعانيها ـ صدق المشاعر، وعمق المودة، وحرارة الإخلاص، وهذا ما لمسته فيك بحق منذ لقيتك في جدة، فكانت سعادتي بك بالغة، وفرحتي غامرة، لما وجدته من حُسْن متابعتك، وجَوْدة فهمك، ونُضْج فكرك، واعتدال موقفك، وتبنِّيك لمنهج(الوسطيَّة) الذي ندعو إليه، ونؤمن به، مع أدب جم، وخُلق كريم، وسَمْت طيب، أحسبك كذلك وهو حسيبُك ولا أُزَكِّيك على الله، هذا في زمن كَثُر فيه الثرثارون والمتشدِّقون والمتفيهقون، المتطاولون بالباطل الباغون للبرآء العثرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما ما نقلته من ثناء شيخ فقهاء العصر العلامة الجليل الأستاذ مصطفى الزرقا حفظه الله ومد في عمره في عافية وتوفيق،فالشيء من معدنه لا يستغرب،وهو في الواقع يستوحي بعض صفاته ومزايا ذاته،ويضفيها على أخيه، وكثيراً ما نُقل إليَّ ذلك عنه، بل ما سمعته مشافهة منه، وأخيراً بعث به في صورة رسالة لِتُتْلى على الحضور في الحفل الذي أقيم لتكريمي في البنك الإسلامي للتنمية بجدة في 1993/7/26، وإن كلمات شيخنا لهي شهادة فَخَار أعتزُّ بها كل الاعتزاز،

فهي شهادة ممَّن يعرف أقدار الرجال ، وبخاصَّة أهل العلم والفكر منهم، ثم هي شهادة لله، لا يبتغي صاحبها بها دنيا ولا مَغْنماً ولا زُلفى إلى أحد.

(5/1)

فإذا أضيف إليها شهادة أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء، العالم المتفنن، والداعية الممتع، الذي نفع الله بعلمه وأدبه الأجيال،وهدى . بما سطره قلمه وما انطلق به لسانه . الملايين من الضلال : الشيخ المبارك الميمون شيخنا علي الطنطاوي، أدام الله النفع به، ورزقه عافية الدين والدنيا، وأمدَّه بروح من لدنه، كان ذلك فضلاً على فضل، وهذه ليست أول مرة منه يثني فيها على شخصي الضعيف، فمن قديم قرَّر تدريس كتاب(الحلال والحرام) في كليتي الشريعة والتربية بمكة، وأثنى على كتابي(فقه الزكاة) وكتابي(الصحوة الإسلامية) وغيرها من الكتب ثناءً عاطراً في أحاديثه الرمضانيَّة الثريَّة المتميزة، وفي جلساته الخاصَّة، ومحاضراته العامة.

وشهادة مثل شيخنا الطنطاوي هي وسام كذلك على صدري، فيعلم الله كم أحببته منذ كنت طالباً مشغوفاً بالأدب والشعراء، وأقرأ له في مجلة (الرسالة) الأدبية الشهيرة،ولم أكن أعرف أنه قاضٍ شرعي، فلمَّا عرفت ذلك بعد ازددت له حباً، فقد جمعتنا رابطة أخرى هي رابطة (المشيخة) أو العلم الشرعي.

وزادني حباً له، حين كتب مقاله الشهير في (الرسالة) : لا تخافوا الإخوان لأنهم يخافون الله !.

أما الأستاذ الزرقا، فقد بدأت معرفتي به عن طريق القراءة أيضاً، عندما عرّفت به مجلة (الشهاب) التي كان يُصدرها الإمام الشهيد حسن البنا، وفي آخر كل عدد منها صفحات سُمِّيت: (سجل التعارف الإسلامي) تحمل صوراً لبعض الشخصيات، وتُعرِّف بها. وكان من أوائل من عَرَّفت بهم المجلة: الأقطاب الأربعة: السباعي، والزرقا، والمبارك،والدواليبي, كما نشرت بعض مقالات للأستاذ الزرقا حفظه الله.

(6/1)

الخلاصة يا أخي: أني أعتزُّ بشهادة هذين العملاقين،وشهادة الشيخ العالم العامل الورع المحدث الداعية العلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة بارك الله في حياته، ومدَّ في عمره في خدمة الإسلام،والعلم عامَّة، والسنة النبوية خاصَّة.وإن كانت هذه الشهادات الكريمة الرفيعة لا تخدعني عن نفسي، فأنا أعرف بها وبعيوبها، وأعي قول ابن عطاء الله في "حِكَمِهِ": أجهل الناس من يترك

يقين ما عنده لظن ما عند الناس! الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاماً لنفسك لما تعلمه منها!

أخي أما هؤلاء الذين تطاولوا على الإمام المجدد حسن البنا،، فلا نشكوهم إلا إلى الله تعالى.

ونقول كما قال حسن البنا نفسه يوماً في شأن من ظلموه: سنستعدي على الباغين سهام القدر، ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ويهمني على كل حال أن أرى ما كتبه هؤلاء .

وسأكون بإذن الله في جدة مساء الجمعة **1993/10/8**, وعسى أن أسعد بلقياك هناك. وإلى اللقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم يوسف القرضاوي

... **1414/4/12**هـ

الدوحة ... **1993/9/28**.

تكرُّر اللقاءات ومتابعة المؤلفات:

وما قدم الشيخ بعد لقائي الأول به إلى المملكة محاضراً أو زائراً، إلا ولقيتُه واجتمعت به، وأنست بصحبته، وارتويت من علمه وفضله... ولم يصدر كتاب من كتب الشيخ حفظه الله إلا وتكرَّم بإهدائِهِ إلي... وجميع هذه الإهداءات بخطه وتوقيعه من العلائق النفيسة التي أعتزُّ بها...

(7/1)

وقد صحبته في بعض زيارته إلى جده إلى منزل أستاذنا الطنطاوي رحمه الله تعالى، وكان مجلس علم وأدب وحكمة... وقد ذكر تلك الزيارة في كلماته" في وداع الأعلام" بقوله ص28:" ولقيته مرة ثالثة في بيته بجدة ، حين قعدت به السن، ولزم المنزل، ولم يعد يشارك في نشاط، وكان الذي صحبني إليه ابننا الشاب العالم النابه، المحبُّ لي وله الشيخ مجد مكي، وكانت جلسة طيبة نافعة، وددنا أن تتكرر ،ولكنها كانت الأخيرة ، كما قدَّر الله...".

كما كنت صلة الوصل بينه وبين أستاذنا العلامة الزرقا ، كما ذكر ذلك سيخنا القرضاوي في رثائه في " وداع الأعلام" ص100:" وحين جمع أخونا مجد مكي فتاواه لتصدر في كتاب ، طلب إليه أن يرسلها إليَّ لأكتب لها مقدمة ، والحقُّ أنه شرَّفني بذلك ، فما كان لمثلي ليقدِّم فقيهاً كبيراً في حجم الزرقا، الذي غدا في هذا العصر فقيه الأمة بحق، وكان الأخ مجد هو همزة الوصل في المدة الأخيرة بيني وبينه".

كما وثقت الصلة أخيراً بينه وبين أستاذنا العلامة المحدث المحقق الشيخ محمد عوامة حفظه الله

تعالى الذي اجتمع به في المدينة المنورة ، وأهداه مجموعة من كتبه ، ثم قدم له تحقيقه النفيس المتقن لـ :" مصنف ابن أبي شيبة" الذي صدرفي سبعة وعشرين مجلداً ، وقد أعجب الشيخ بتحقيقه وشكره على جهوده المباركة في خدمة هذا الكتاب.

(8/1)

ومن تعهُّد الشيخ لتلاميذه ومحبيه : دعوتهم للعمل المثمر البنَّاء، وتشجيعهم وحثهم على إنجاز الأعمال، والثناء عليهم بما يبعث فيهم الهمة على تحقيق الآمال ، وقد شجعني كثيراً على الكتابة والتأليف ، كما كنت من أوائل المدعوين للانضمام إلى الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين، إذ قدَّم لي مشروع هذا الاتحاد ، فكنت من أوائل المنضمين إليه، ودعوت كثيراً من إخواني إلى المشاركة فيه ، وقد أكرمني الله تعالى بزيارة مصر لأول مرة في ربيع الأول سنة 1427 وحضرت في القاهرة حفل افتتاح مكتب الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، وسعدت برؤية الشيخ وحضور محاضرته القيمة في هذه المناسبة الكريمة.

وفاؤه وبره:

ومن أخلاق الشيخ مع إخوانه وتلاميذه : شدَّة وفائه لهم وبرّه بهم... وكم مرة اتصل بي على الهاتف... ليطمئن عني ويسأل عن أحوالي...

وأذكر له موقفاً رائعاً من مواقف البر والصلة: أنني حدَّثته عن أحد أصدقائه السوريين الذين تعرَّف إليهم في مصر أثناء دراسته في الأزهر، وهو أستاذنا المربي الفاضل الدكتور الشيخ عدنان سرميني، الذي كان في الخمسينيات يحضر معه في جلسة دعوية وتربوية. وقد أقعده المرض في بيته، فبادر إلى الاتصال به والاطمئنان عن أحواله، وتذكيره بكثير من المواقف والمشاهد التي كان يظنُّ أستاذنا الشيخ عدنان أن الشيخ نسيها أو نسيه في غمرة الأحداث الكثيرة، ومرور السنوات الطويلة... فإذا بالشيخ يذكره بها ويذكر له ما كان بينهما من صلة وأخوة وتعاون في ميدان الدعوة...

(9/1)

ومن وفائه لشيوخه وإخوانه : مبادرته إلى رثائهم عن طريق الكتابة عنهم وإعطائهم حقهم أو الإشادة بهم في خطبة الجمعة التي تذاع في فضائية قطر، أو في حلقة برنامج" الشريعة والحياة" من قناة " الجزيرة" في قطر... ولم يقتصر في رثائه على من عرفهم، أو من سمع عنهم، بل من حُدِّث

عن مكانتهم وأثرهم مثل رثائه للعالم الرباني الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى ، عبر قناة الجزيرة، والذي كان لرثائه صدىً طيباً في نفوس تلاميذه ومحبيه.

سرعة مبادرته إلى ما يطلب منه:

ومن روائع أخلاقه وشدة وفائه وبره لتلاميذه: سرعةُ مبادرته لما يطلب منه... رُغم كثرة أعبائه وتزاحم أعماله... ولما انتهيت من تأليف كتابي: "البيان في أركان الإيمان" وقبل دفعه إلى الطباعة، أرسلته إليه بالبريد، أطلب منه النظر فيه، والتكرُّم بكتابة مقدمة، ولم يمر على إرسال الكتاب شهر، وإذا بالشيخ يتَّصل بالهاتف ليعبِّر عن إعجابه بالكتاب، وأنه كتب مقدِّمة له، وعليَّ أن أفتح الفقس ـ كما يسميه شيخنا الزرقا ـ لاستلام تلك المقدمة.

وكم كانت فرحتي بالمقدمة، ولا تقل فرحتي بمقدمة الشيخ عن فرحتي بصدور الكتاب نفسه.

تقديم القرضاوي لكتابي " البيان في أركان الإيمان":

وهذه مقدمته التي أكرمني بها، أوردها لتظهر ملامح من أخلاق الشيخ وبره، وتعهُّده لأبنائه، قال حفظه الله تعالى في عافية وسرور :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(أما بعد):

فقد سعدت منذ سنوات بمعرفة الابن النجيب، والأخ الحبيب، الأستاذ مجد مكي، الذي أعجبت به وأحببته من أول لقاء فقد رأيت فيه ـ على حداثة سنه يوم رأيته ـ قارئاً نَهماً، مشغوفاً بالكتب، مُطَّلعاً على المصادر، مميِّزاً بينها، عالماً بخصائصها، عارفاً بالأصيل والثانوي منها، محباً للعلماء،وخصوصاً المتميزين منهم، ساعياً إلى التعرُّف عليهم، والاقتراب منهم، والتأسِّي بهم، والانتفاع بما عندهم من علم وعمل. ولاسيما علماء الشام الأعلام، أمثال العلامة الفقيه مصطفى الزرقا، والعلامة الأديب علي الطنطاوي حفظهما الله، والعلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى.

لقد وجدت عند هذا الشاب النابه ما لم أجد في كثيرين من الشباب الذين تخرَّجوا في الكليات الشرعيَّة، والجامعات الدينية، من عقل متفتّح، وبصيرة نيّرة، ودأب في البحث، وصبر على التحصيل، وحُسْن اختيار لما يقرأ ويحصل، وقد قيل: أخبرني ماذا تقرأ، أخبرك من أنت؟

هذا مع أدب جمّ، وخُلق كريم، وتواضع محمود، لا يدَّعي ولا يتباهى،ولا يثني عطفه تيهاً وفخراً،

بل كاد يود أن يظل مغموراً، لا يعرفه إلا أهل العلم.
ولطالما ألححت عليه أن يكتب وينشر بعض علمه على الناس، إذ لا يجوز له أن تكون لديه هذه الكنوز الثمينة من المعرفة، ثم يخبؤها في صدره أو في خزانته، ولا تنتفع الأمة بها، في حين نرى أناساً لا يملكون بعض ما يملك من أدوات العلم، يطلعون علينا كل يوم، بما لا يسمن من شبع، ولا يغني من جوع.
ولكن الشيخ مجدا ـ حفظه الله ـ شأنه شأن أهل العلم الأصلاء، كان يتهيَّب هذا الموقف: أن يخرج على الناس بكتاب أو مقالة لم تنضج على نار هادئة، ولم تأخذ حقها من العناية فكرة وعرضا وأسلوبا.

(11/1)

ولهذا رحَّبت بهذا الكتاب الذي كتبه الشيخ مجد في (أركان الإيمان) وقد عرفت من مقدمته:أنه سبقه كتابان في نفس الموضوع: غراس الإيمان، وأصول الإيمان.وكلها كتب دراسية أُلفت لتدرس في بعض المعاهد الشرعيَّة في المراحل المختلفة.وهذا الكتاب ألف للمرحلة الثانوية.
والحقيقة أني وجدت الكتاب جامعاً شاملاً لكل أركان العقيدة الستة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر...
وقد راعى المؤلف ما ينبغي أن يراعى في هذا التأليف المدرسي، من حيث وضوح الفكرة، وحسن العرض، وسلاسة الأسلوب، وجودة التقسيم والتبويب، وتوثيقه بالأدلة العقلية والشرعية، ووضع العناوين الجانبية المعينة على حسن الفهم، وختم كل درس بأسئلة مناسبة له. بل أضاف إلى ذلك ذكر توجيهات نافعة للمدرسين، هي ثمرة معرفة وخبرة وتجربة ولا شك.
كما اهتم المؤلف الكريم ببيان آثار العقائد الإسلامية في النفس والحياة أو في الفرد والمجتمع، مثل آثار التوحيد، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقدر وغيرها، كما بدأ كتابه ببيان أوجه الحاجة إلى العقيدة.
وعني كذلك ببيان خصائص العقيدة الإسلامية ومزاياها على غيرها من العقائد الدينية والايديولوجية الوضعية المختلفة، التي عرفها الناس.
وقد أحسن المؤلف ـ سدَّده الله ـ حين جعل عمدته ومرتكزه الأول: القرآن الكريم، لأن أسس العقائد ثابتة بالقرآن، فلا تكاد تخلو صفحة من الكتاب إلا وفيها آية أو أكثر، ثم لابدَّ منه من صحاح الأحاديث وحسانها، بما يزيد الأمر وضوحاً.
وهو كذلك قد أحسن الاستفادة من المراجع العلمية قديمها وحديثها، واقتبس منها في مواضع

جمة، وأجاد الاقتباس، وهذا يدل على مدى هضمه وتمثُّله لما قرأ، وإنصافه في نسبة الأقوال إلى أربابها، وإن كان هناك كثيرون للأسف يسرقون الأفكار، بل العبارات بنصها، ولا يعزونها إلى أهلها، وقد قال سلفنا رضي الله عنهم : من بركة القول أن ينسب إلى قائله.

(12/1)

لقد أخرجت أرضُ حلبَ الشهباء نبتاً طيباً، وعالماً جديداً، يُرجى أن يكون له مكانه وتأثيره وأثماره، وإيتاءُ أكله في ساحة العلم والدعوة، وأنه لذلك لأهل.

{ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه} [الأعراف: 58].

شكر الله لأخينا الشيخ مجْد، وسدَّد قلمه، في خدمة العلم والدعوة إلى الإسلام، بلسان عصري مبين{ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين}[فصلت:33].

الدوحة غرة محرم 1419هـ.

إجازته العلمية:

وإذا كنت أعتزُّ بهذه المقدمة الكريمة التي أكرمني بها، فإنني أعتزُّ كذلك بإجازته العلمية المباركة التي أجازني فيها برواية الحديث، وخدمة السنة وعلومها، وليس للشيخ حفظه الله عنايةٌ بالاستكثار من الشيوخ والإجازات، وقد أجيز من عالمين محدِّثين كبيرين هما: السيد أحمد بن الصديق، وشيخنا ومجيزنا العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمهما الله تعالى.

وقد قام الأخ العالم المحقق المتقن الدكتور أكرم الندوي بعمل ثبت للشيخ سماه:"كفاية الراوي عن العلامة الشيخ يوسف القرضاوي" . وإنني ـ بفضل الله ـ قد أُجزت من أكثر من مائة عالم، ويأتي في مقدِّمة من أعتزُّ بإجازتهم فضيلة شيخنا القرضاوي لما له من مكانة علمية كبرى، وقدم راسخة في الحديث وعلومه، وخدمات جليلة في السنة النبوية، وهذا نص إجازته حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(أما بعد)

فإن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا هي نعمة الإسلام الذي أكرمنا الله به، وأكمله لنا وأتمَّ به النعمة علينا{ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}.

ومن خصائص هذا الدين: أن الله تعالى تكفَّل بحفظ مصادره فلا تضيَّع ولا تحرَّف ولا تبدَّل: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}.

وقد أكد العلماء الراسخون أن حفظ القرآن يستلزم حفظ السنة، لأنَّ حفظ المبيَّن يستلزم حفظ بيانه.

ومن لوازم حفظ السنة: أن الله سبحانه هيَّأ لها رجالاً في كل عصر، الذين جاء فيهم الحديث الذي صحَّحه الإمام أحمد وقواه ابن القيم:" يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُوُله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".

ومن أبنائي وتلاميذي الذين أعتز بهم، وأدعو لهم، وأعتبرهم من (الخلف العدول) الذين حملوا ميراث النبوة: الابن العزيز، والأخ الكريم الشيخ: مجد أحمد مكي.

ولهذا جرياً على ما مضى عليه سلفنا الصالح من علماء السنة، وأئمتها الأخيار أجيزه إجازة عامة، بما يجيز به الشيوخ تلاميذهم من الرواية والدراية. وخدمة كنوز السنة وعلومها الغزيرة المباركة، وأن يرووا عني ما أجازني به شيوخي وغيرهم كل ما يُعزِّز السنة، ويرفع منارها، باعتبارها المصدر الثاني، المبين لكتاب الله تعالى :{ وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}.

أسأل الله تعالى لابننا العزيز، وأخينا الفاضل :مجد أحمد مكي أن يُسَدِّد خُطَاه، وينيرَ بصيرتَهُ، ويرزقه الفهم عنه وعن رسوله، ويبارك في جهوده ويجعله من الذين يتعلَّمون فيعلمون، ويعلِّمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فَيُتقَّبلون، وأن يغفر لنا ويرحمنا، ويتقبلنا جميعاً في عباده الصالحين { ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير}، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إليه تعالى يوسف بن عبد الله القرضاوي

أكسفورد في 7جمادى الأولى 1423هـ

2003/7/7.

عنايتي بمؤلفاته :

ومن شدَّة إعجابي بكتب الشيخ حفظه الله تعالى: أنه لا يَصْدرُ كتاب من كتبه الجديدة إلا وأبادر إلى شرائه، وأقوم بتعريف إخواننا به، وتقديمه لهم، ودعوتهم إلى الاستفادة منه، ودراسته وتقريره في مناهجهم.

ويعقد مجموعة طيبة من بعض الإخوة المقيمين في جدة ندوة شهرية منذ أكثر من عشر سنوات، يُعرَّف فيها بما يصدر من كتب جديدة، وقد عرضتُ في هذه الندوة الثقافية التي يحضرها أكثر من عشرين أخاً من نخبة المثقفين عدداً من كتب الشيخ، ومنها على سبيل المثال: فقه الأولويات، والصحوة الإسلامية من المراهقة إلى النضج، والمرجعية العليا، وغيرها من كتب الشيخ.

متابعتي لبرامجه وخطبه:

ولم تقتصر تلمذتي على الشيخ من خلال كتبه وعبر اللقاءات المتكررة، بل تعدَّى ذلك عن طريق وسائل الإعلام المتنوِّعة، ولاسيما بعد ظهور الشيخ في قناة الجزيرة في برنامجه النافع المفيد: " الشريعة والحياة"، وكذلك عن طريق خطبة الجمعة التي يلقيها في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة. وكم مرةً سمعت خطبته المنقولة عبر قناة " قطر" الفضائية قبل بدء خطبتي، فأخذت من كلامه وأفكاره، وهمَّته الوقادة وعزيمته الوثَّابة ما أنقله إلى قلوب الحاضرين ونفوسهم ومسامعهم... كما أن "خطب الشيخ القرضاوي" بأجزائها المطبوعة المتتابعة زادٌ وفير ومنهل ثرٌّ للواردين... وكم استفدت من هذه الخطب في خطب الجمعة في الجامع الذي أخطب فيه بجدة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.

اتَّسعت دائرة الشيخ، وكثر تلامذته وعارفوه ومُحبُّوه، وأضحت كلمته مسموعة مقبولة، ولم تقتصر التلمذة على الشيخ ـ حفظه الله وأمتع المسلمين بطول بقائه ـ عن طريق الحضور والمشافهة، ولا عن طريق الكتاب والقراءة، بل تعدَّى ذلك كله عبر التطور الهائل في وسائل الاتصالات، عن طريق القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية.

(15/1)

وأحرص كملايين المشاهدين على متابعة برنامجه المتميز(الشريعة والحياة) وأصبح هذا البرنامج زاداً ثقافياً ومنهلاً ثراً، تألَّق فيه الشيخ بفكره النيِّر، وفقهه العميق، ورأيه السديد...ولقد مرت بهذا البرنامج بعض الرياح العاتية، فلم يلق الشيخ لها بالاً، وسارت القافلة محفوفة بعناية الله وحفظه{ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.

وتنوَّعت صور التلمذة للشيخ حفظه الله تعالى، بمتابعتي لموقعه الرائع المتميز على شبكة (الانتر نت)، ومنذ خمسة أشهر بدأت أتعامل مع هذا الموقع، وأتابع فيه أخبار الشيخ ونشاطاته، ودروسه ومحاضراته، وفتاواه ودراساته، والتعريف بكتبه ومؤلفاته.

كما أرجع إلى موقع الجزيرة الالكتروني لسماع ما فاتني من حلقات (الشريعة والحياة)، وإلى (الإسلام أون لاين) أهم موقع إسلامي، والذي يعدُّ الشيخ من مؤسِّسيه والداعي إلى فكرته.

وأقوم منذ أشهر بالإشراف على موقع (رابطة علماء سورية)، وكان لهذا الموقع السَّبْق في نشر كثير من خطب الشيخ وتصريحاته ومواقفه وكتبه... كما يستفيد موقع رابطة علماء سورية في نشره الكثير من الفتاوى والأخبار العلمية والدعوية.

أهمية المشامَّة واللقاء:

وإذا كانت استفادتي من الشيخ وتلمذتي له عبر هذه الوسائل المتنوعة المتعددة، فإن أكثر الوسائل تأثيراً وانتفاعاً هي الاستفادة من كتبه العديده، ثم تعدد اللقاءات به، ومُشامَّته . بمقاربته وتعرُّف ما عنده بالاختبار والكشف ، وهي مفاعلة من الشم، كأنك تشمُّ ما عنده، ويشمُّ ما عندك، لتعملا بمقتضى ذلك . ، وإن عقد مثل هذا اللقاء المبارك في هذا الملتقى العلمي النافع، هو تحقيق لهذه المشامَّة ، بالمقاربة والتعرف، والاختبار والكشف.

جامعة علمية ومدرسة تربوية:

(16/1)

وبعد، فالشيخ جامعة علمية كبرى، ومدرسة تربويَّة متحركة، ومعهد دعوي بنَّاء، تتلمذ الكثيرون على كتبه وخطبه، ومحاضراته ودروسه، واتَّسع نطاق المستفيدين منه عن طريق سَبْقه إلى جميع وسائل الاتصالات الحديثه، فكان له حضوره الكبير، وأثره العظيم، الذي لم يسبق لعالم من علماء الأمة أن تبوَّأه..

كثرة المستفيدين:

فإذا كانت مجالس إملاء الحديث التي يملي فيها المحدثون أحاديثهم يحضرها الألوف من المُسْتَملين، وإذا كانت مجالس ابن الجوزي الوعظيَّة يحضرها الألوف كذلك فقد تعدَّى نفع الشيخ عبر مجالسه العلمية والدعويَّة والتربويَّة ليتعدَّى مئات الألوف من متابعيه والمستفيدين من علمه وهديه وإرشاده.

كثرة المؤلفات:

وإذا كان المؤلِّفون المكثرون من التأليف الذين جاوزت مؤلَّفاتهم المائة لا يتجاوزون المائة. وقد كتب العلامة الأديب جميل العظم الدمشقي(ت:1352) كتاباً أسماه: " عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائه فأكثر" ذكر في الجزء الأول منه تراجم أربعين عالماً من علماء المسلمين، وسَرَدَ مصنَّفاتهم مُرَتَّبة على الحروف، فإنه يأتي في مقدَّمتهم في عصرنا الحاضر، بل وفي العصور السالفة، الدكتور القرضاوي الذي جاوزت مؤلفاته المائة والخمسين.

فهو من شيوخ هذا العصر، وأئمة الهدى، ودعاة الحق الذين جمعوا بين العلم والدعوة والتربية

وواقع العصر ومُسْتَجدَّاته، والجهر بالحق، والتَّصدِّي لغارات الأعداء في الداخل والخارج...
وبعد ثانية:
إذا كانت الحكمة الذائعة الشهيرة تقول: قل لي: ماذا تقرأ ؟ أقل لك : من أنت. كذلك أقول: قل لي: من شيوخك؟ أقل لك: من أنت. فشيوخ الطالب هم آباؤه وأجداده ومربُّو روحه ونفسه وعقله...

(17/1)

ولا يعني انتساب المرء إلى شيخ أن يكون صورة مطابقة له ... فأستاذنا العلامة القرضاوي رغم استفادته وإشادته بشيوخه الكبار، في الأزهر الشريف، وفي التربية والدعوة، وتمثُّله لمنهجهم، لم يكن صورة مطابقة لأحد منهم، وكيف يكون كذلك أو يريد ذلك لتلاميذه، وصدره رحب ، وعقله متفتح، وأفقه واسع، وهو يتَّبع الدليل ، ويحبُّ الحوار، ويسمع للآخرين من التيارات المخالفة، فكيف بالقريبين منه، المحبين له، المترسمين خطاه، المتبعين منهجه الوسطي!.
التلمذة الحقيقية:
وإذا كانت دائرة الاستفادة من الشيخ ممتدةً واسعة، وصورة التلمذة له مختلفة متنوعة، وطبقات تلاميذه مراتب متعددة، فإن أحقَّهم بالتلمذة له من هضموا كتبه، وفهموا منهجه، والتزموا سيرته، وتبنَّوا مدرسته، فكم من تلاميذ حضروا عليه في المعاهد أو الجامعات، ولازموه في بعض الأسفار والمهمَّات،ولكنهم لم يتحلوا بسمته وهديه، وطريقته ومنهجه، فتلاميذه الحفيُّون به هم الذين استفادوا من منهجه في فقه المقاصد والأولويات، وفقه الاختلاف والسنن، وفكره الشمولي ، وخطابه المعاصر، وتبنوا مشروعه الدعوي والتربوي والفكري، ومنهجه الوسطي.
وبعد ثالثة، فهذه كلمات عَجْلى من مُتَتَلمذ على مائدة الشيخ ، مستفيد من منهجه وهديه، معجب بآثاره ونفعه، وإن لم أتشرَّف بالمثول بين يديه في معاهد العلم والدراسة، فقد أكرمني الله تعالى بالعناية بكتبه ومؤلفاته ، وتوثَّقت صلتي بلقاءاته وزياراته المتكررة، وجلساته المتعددة، ومشامَّته ومناقشته، ومكاتبته ومراسلته.

(18/1)

وماذا عساي أن أكتب في صفحات معلومات معدودات؟ وما أرى مثلاً أقوله إلا كلمة المجد الفيروز آبادي التي قالها في مقدمة" القاموس" بعد أن عَدَل عن تأليف كتاب له في سبعين مجلداً

إلى تأليف" القاموس" في مجلدين، فاعتذر عن إيجازه الشديد بأنه سيملأ زُفَراً في زِفْر . أي: يملأ البحر في قُربة! فكيف أستطيع أن أتكلم عن هذا الإخاذ الكبير المتَّسع الذي روَّى بعلمه وهديه وحكمته وتجربته الألوف من الواردين. ولئن كان المجدُ قد استطاع أن يملأ زُفَراً في زِفر ، فما أنا بمستطيع...ولكنها محاولة المحب القائل :

وتجمع في قارورة العطر روضة ... ... وتجمع في كأس الرحيق كروم

أسأل الله الكريم اللطيف أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية من كل سوء ، ليكون . في اطِّراد . منار هدى للإسلام على المسلمين، وأن يُقرَّ عينه بتحقيق مشاريعه العلمية والدعوية والتربوية ، وأن يُهيئ التلاميذ البررة والورثة الصادقين الذين يحملون لواء العلم والدعوة بصدق وإخلاص، ويتحقق فيهم قول الله عز وجل : {الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله }إنه سبحانه كريم جواد، سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

مجد مكي

جدة 1428/6/11هـ.